بوش سيطرح أمام الكونغرس خطوط عقيدته الخاصة بالضربات الوقائية والربط بين الإرهاب وخطر أسلحة الدمار

محللون: بوش بصدد تطوير مبدأ «الوقائية» على غرار مبدأ ترومان الخاص بـ«الاحتواء»

واشنطن: دويل ماكمانس*

عندما وصل جورج دبليو بوش الى البيت الابيض في يناير (كانون الثاني) 2001، بدت اهداف سياسته الخارجية على درجة كبيرة من التواضع. وكان البند الرئيسي في مجال السياسة الخارجية خلال حملة بوش الرئاسية هو الحد من تدخل القوات المسلحة الاميركية في النزاعات الخارجية وليس توسيع ذلك التدخل. ولكن بعد 19 شهرا من ولايته وبعد الهجوم الكبير الذي شهدته الولايات المتحدة في 11 سبتمبر (ايلول) الماضي، فان استجابة بوش للتحدي الذي طرحته منظمة «القاعدة» توسعت لتتمخض عن رؤية طموحة ومثيرة للجدل تتبع سياسة خارجية اكثر حزما وحضورا وميلا الى العنف على المستوى العالمي.

وهذه السياسة الجديدة، التي اصبحت تعرف بعقيدة بوش ستطرح خطوطها العريضة رسميا في تقرير يقدم الى الكونغرس هذا الشهر، تعلن ان الولايات المتحدة مستعدة لتسديد ضربات وقائية للدول المعادية التي تنشر اسلحة نووية او بيولوجية او كيماوية، وتشير الى ان المرشح الاول لهذه الضربة الوقائية هو العراق.

ويقول مساعدو بوش ان تقرير «استراتيجية الامن القومي» سيأتي على نفس الدرجة من الاهمية وسيمتد الى ما وراء العراق ليطرح دورا عالميا للولايات المتحدة ويدعو لمزيد من التعاون مع روسيا والصين، ومزيد من العون العسكري للدول التي تحارب الارهاب ومزيد من العون الاقتصادي للدول الفقيرة في افريقيا واميركا اللاتينية وآسيا.

وليس غريبا ان تصبح الدعوة لضرب العراق محور جدل عنيف، ولكن حجة الادارة الاوسع، بان الحرب ضد الارهاب ستكون جوهر السياسة الخارجية الاميركية الجديدة لما يسميه وزير الخارجية كولن باول «بالمرحلة التالية لما بعد الحرب الباردة»، اثارت هي الاخرى جدلا محتدما.

ويبدي البعض استعدادا لتأييد هذه السياسة. وقال جون لويس قاديس، الباحث في شؤون العلاقات الخارجية بجامعة ييل «انها حزمة افكار تنطوي على درجة كبيرة من التعميمات الكاسحة. ولكنها مع ذلك ممكنة التحقيق. هناك درجة من الوضوح والانسجام لم نرها منذ فترة طويلة. لم نر هذه الدرجة من الانسجام والوضوح لدى الادارات السابقة، بل لم نرها من هذه الادارة نفسها في شهورها الاولى».

ولكن هناك آخرين ليسوا على هذه الدرجة من التفاؤل، ويحذرون من ان السياسة الجديدة ابعد ما تكون عن تطوير التعاون، وانها على العكس من ذلك تسبب قسطا غير قليل من النزاعات والاحتكاكات. وقال جون ميرشايمر، مدرس العلاقات الدولية بجامعة شيكاغو «لا اعتقد ان هذه السياسة ستنجح. ان فكرتهم بان تكون مكافحة الارهاب هي محور

السياسة الخارجية لكل القوى الكبرى ليست مقبولة بالنسبة لي. انني لا اؤمن بهذه الفكرة. وهي على كل حال ليست نقطة التركيز بالنسبة لروسيا او الصين. بل حتى الاوروبيون يعتقدون اننا مصابون بالهوس».
ولكن اغلب المحللين يتفقون على ان السياسة الجديدة تمثل تحولا كبيرا في تفكير رئيس لم يأت الى البيت الابيض الا ببضعة طموحات متواضعة في مجال السياسة الخارجية، طموحات لم تتعد الرغبة في تخفيض مهام حفظ السلام بالخارج وبناء الدروع الدفاعية بالداخل.
وإذا طرح التساؤل عن سبب تغيير بوش لرؤيته، فان الاجابة ستكون حتما: احداث 11 سبتمبر (ايلول). وقالت كوندوليزا رايس مستشارة بوش لشؤون الامن القومي «11 سبتمبر كانت زلزالا دفع كل الاشياء الى الحركة والتحول والتغيير، الى الدرجة التي تحملك على القول بان هناك اخطاراً هنا، ولكن هناك بعض الفرص الجديدة في نفس الوقت»، مشيرة الى ان من ضمن الفرص الجديدة الامل بان تجد الولايات المتحدة واوروبا وروسيا والصين واليابان، لغة مشتركة وارضية مشتركة للحرب ضد الارهاب.
واضافت رايس «لاول مرة في التاريخ العالمي اصبح ممكنا الا نواجه بالمنافسة بين الدول الكبرى، وهذا في حد ذاته انجاز ضخم».
ولكن النتائج لم تكن واضحة ايضا في هذه الجبهة. ففي الخريف الماضي عندما كانت القضية ممثلة في خطر الارهاب الناجم من منظمة «القاعدة»، انضمت الامم الاخرى بسرعة كبيرة الى الولايات المتحدة.
وذكرت كوندوليزا رايس ان رئيس الوزراء الياباني جونتشيرو كويزومي، قال مخاطبا الرئيس بوش «أنت تفهم بالطبع انه لا يمكنك ان تخسر، لانك اذا خسرت فاننا جميعا نكون قد انتهينا».
ولكن عندما طرح بوش في الآونة الاخيرة نظريته في التركيز على الدول المعادية التي تملك اسلحة الدمار الشامل، والتي عبر عنها بدول «محور الشر»، ذاكراً كلاً من العراق وايران وكوريا الشمالية، فان الحليف الوحيد الذي كان مستعدا للتعبير عن تأييده لذلك كان رئيس الوزراء البريطاني توني بلير. وعندما سئل احد المسؤولين حول احجام الدول الاخرى عن التأييد، قال بشيء من الامتعاض «لان هذه الدول لم يطلب منها ذلك».
وقد ظهرت انقسامات حتى داخل ادارة بوش حول المقتضيات المحددة التي تتطلبها سياسته. ويقول مساعدو بوش ان هناك اتفاقا عاما بينهم على ان الجمع بين الارهاب واسلحة الدمار الشامل، يمثل خطرا واضحا وماثلا، وان اسقاط حكومة الرئيس العراقي صدام حسين يجب ان يكون هدفا اميركيا. ولكن كيفية تحقيق هذا الهدف وكيفية الوصول اليه ما تزال تخضع للمناقشة. وقد اعطى بوش صورة مجملة للاستراتيجية في حفل تخريج اقيم في يونيو (حزيران) الماضي الماضي بويست بوينت عندما قال ان بلداناً مثل العراق اخطر من التعامل معها بسياسة الاحتواء فقط. وقال الرئيس الاميركي «ان الردع، وهو الرد العنيف والجبار ضد الامم، لا يعني شيئا بالنسبة الى شبكات ليست لديها امم او مواطنون تدافع عنهم. أما الاحتواء فهو غير ممكن عندما يملك الطغاة من الحكام اسلحة الدمار الشامل ويستطيعون اطلاقها بواسطة الصواريخ او تسليمها سرا الى المنظمات الارهابية الحليفة لهم».
ونتيجة لهذا الوضع، قال بوش، ان على الاميركيين ان «يكونوا مستعدين

لشن اعمال وقائية عند الضرورة لحماية حريتنا وحماية ارواحنا». وقد ورد هذا التحذير بالعناوين العريضة للصحف في اليوم التالي، ولكن خطاب ويست بوينت، احتوى كذلك على نقطتين دقيقتين تمثلان جزءاً من عقيدة بوش. وكانت احدى هاتين النقطتين ان النزاعات بين الدول الكبرى قد انتهت ولكن افضل طريقة للمحافظة على السلام هي احتفاظ الولايات المتحدة «بقوة عسكرية لا تخضع للمنافسة ولا تقبل التحدي، مما يجعل سباق التسلح الذي شهدته الحقب الماضية غير ذي موضوع».
والنقطة الثانية هي ان العالم لا يواجه «صدام حضارات» بل يشهد صراعا بين كل الامم لتطبيق قيم مشتركة حددها بوش على النحو التالي «الحد من نفوذ الدولة وسلطتها، احترام النساء، الملكية الخاصة، حرية التعبير، العدالة للجميع والتسامح الديني». واضاف بوش ان على الولايات المتحدة ان تساعد الدول الاخرى على تحقيق هذه القيم.
وتكون كل هذه النقاط ما يسميه قاديس وباحثون آخرون، استراتيجية عالمية معدلة للولايات المتحدة، ويمكن تسميتها كذلك بـ«عقيدة بوش».
والعقبة الاولى التي تواجهها ادارة بوش هي اقناع حلفاء الولايات المتحدة واقناع الجمهور الاميركي بان الردع لن يكون فعالا مع صدام حسين، وان اسقاطه من الضرورة بحيث يبرر شن الحرب ضده. وكان بوش ومساعدوه قد قالوا ان صدام يجب ان يذهب لانه ربما يزود المنظمات الارهابية باسلحة الدمار الشامل. ولكن آخرين من ضمنهم برنت سكوكروفت، الذي عمل مستشارا للامن القومي في ادارة الرئيس الاسبق جورج بوش الاب، يثيرون الشكوك حول سلامة هذا المنطق. وقد كتب سكوكروفت «ليس من المحتمل ان يغامر صدام باستثماراته في مجال اسلحة الدمار الشامل بتسليمها الى ارهابيين يستخدمونها لخدمة اغراضهم الخاصة ويكشفون بغداد كمصدر لها».
وهناك مشكلة اخرى تتمثل في ان بوش يرغب في الاحتفاظ بتحالف واسع ضد الارهاب وفي تقوية التعاون مع القوى الكبرى الاخرى بما فيها روسيا والصين. ولكن بوش في حملته ضد العراق وضد «محور الشر» لم يبد استعدادا كبيرا للتشاور مع الدول الاخرى، مما جعل بعض الحلفاء التقليديين مثل بريطانيا وفرنسا والمانيا يعلنون احتجاجهم على هذا التجاهل.
وقال تومسون المعروف بتأييده للادارة «اغلب ما طرحوه باعتباره سياسة عالمية يتسم بالطابع الانفرادي. وخطاب بوش بويست بوينت ليس سوى دعوة لموقف اخلاقي انفرادي. ان العراق لم يعتد علينا، كما لم تعتد علينا كوريا الشمالية او ايران».
وعلى المدى الطويل فان الامتحان الذي ستتعرض له «عقيدة بوش» هو: هل سيصمد هذا المبدأ كما صمد مبدأ هاري ترومان المتعلق بالاحتواء على مدى نصف قرن وصار هو القاعدة التي تنطلق منها السياسة الاميركية تجاه الاتحاد السوفياتي، ام انه سيكون مجرد اهتمام عابر من اهتمامات السياسة الخارجية؟.